مجلة عصور الجديدة- فصلية مصنفة ج- المجلد 10- العدد 4 (ديسمبر) 1442هـ/2020م
ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600-6324
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الصراع العسكري بين حكام إمارة تنس والعثمانيين بالغرب الجزائري (922-959هـ/1516-1552م)

Military Conflict Between The Rulers of The Principality of Tenes and the Ottomans in Western Algeria (922-959 AH / 1516-1552 AD)

اسم ولقب المؤلف المرسل للمقال: إسماعيل بن نعمان- Bennamane Ismail صص248-270
الدرجة والعنوان المهني: أستاذ- معهد الآثار- جامعة الجزائر2 (الجزائر)
البريد الإلكتروني: ismail.bennamane@univ-alger2.dz

تاريخ استقبال المقال: 2020/06/04 تاريخ المراجعة: 2020/10/05 تاريخ القبول: 2020/10/20

الملخص باللغة العربية: كان لمدينة تنس أهمية بارزة منذ بداية تأسيس الدول المستقلة في المغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط خصوصا في القرن 2هـ/8م، واكتسبت هذه الأهمية بفعل المبادلات التجارية التي وصلت إليها بمساعدة مينائها الذي كان همزة وصل بين بعض مدن وحواضر المغرب الأوسط ومدن وحواضر الأندلس، فكان كل حاكم يعمل على المحافظة عليها إن كانت تحت سلطته أو يعمل بكل قوته لاسترجاعها إن فقدها.

ومع بداية اضمحلال الدولة الزيانية وفي خضم الصراع الذي كان بين أمرائها، أصبحت المدينة عاصمة لإمارة صغيرة تضم بعض المدن القريبة منها، حدودها الجغرافية تلامس مسار وادي الشلف من الجنوب والغرب، والبحر الأبيض المتوسط من الشمال، وضواحي مدينة تيبازة شرقا. وتمكن الاسبان من ضم ولاء حكامها بعد دعمهم ماديا ومعنويا.

وبظهور الأخوين عروج وخير الدين في الجزائر ثم سيطرتهم على بعض مدن الشرق الجزائري ومدينة الجزائر، والتطلع للتوسع غربا باتجاه عاصمة الدولة الزيانية في تلمسان، شكلت هذه المدينة سدا عرقل هذا التوسع لفترة زمنية طويلة، وكان للعثمانيين حروب كثيرة مع حكامها سواء المنحدرين من العائلة الزيانية أو الذين جاؤوا بعدهم من قبيلة سويد العربية، وانتهي المطاف بحكامها إلى الانضمام للدولة العثمانية والحكم باسمها، وبمرور الزمن توفي حاكمها حميد العبد واستعل العثمانيون الفرصة وعينوا صفاح خليفي حاكما جديدا أرسلوه من مدينة الجزائر، ورغم الثورة الطويلة التي قادتها قبيلة سويد

EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636 ردمد
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

ضدهم لاسترجاع ملكها إلا أن العثمانيون واصلوا دعمهم لحاكمهم الذي بقي في الحكم أكثر من عشرة سنين إلى غاية وفاته.

الكلمات المفتاحية: العثمانيين؛عروج؛خير الدين؛ الزيانيين؛ مولاي عبد الله؛ سويد؛ حميد العبد؛ الإسبان؛ تنس؛ الجزائر.

Abstract: *The city of Tennes was important Since the beginning founding of the independent states of the Islamic Maghreb in general and the Middle Maghreb in specific and especially during the year 2AH/8AD. the city of Tennes has been very important due to the commercial exchanges through its port which was considered as a link between some cities and towns of the Middle Maghreb, and some cities and towns of Andalusia. Each of its rulers have worked hard to keep it under his control and in cas it was lost he did his best to get it back.*

When the Zayani state started to decline and in the midst of the conflict between its princes, Tennes became the capital of a small principality including few close cites, its geographical borders starts from the Chlef Valley in the south and west, to the Mediterranean Sea in the north, to the outskirts of the city of Tipaza in the east. and the Spaniards have managed to guarantee the allegiance of its rulers after supporting them financially.

When the brothers Arouj and Khairuddin came to Algeria, they dominated some of the easten cities in Algeria plus the city of Algiers, and they wanted to expand their domination towards the west to the city of Telemcan, but Tennes has been an obstacle in the way of their ambition for a long time, so the Ottomans had many wars with its rulers (some of those rulers were from the Zayani family while the latest ones were from the Sweden Arab's tribe). In the end Tennes's rulers joined the Ottomans empire and they started to rule under their name. Later on, Hamid Al-Abd who was a ruler of the city died, so the Ottomans took advantage of his death, and they appointed Safeh khelifi as a new ruler to the city (he was sent from the city of Algeries). Despite the long revolution that was led by the Sweden Arab's tribe against the Ottomans to take the city back under their control, the Ottomans continued supporting its ruler who remained in power for more than ten years until he died.

Keywords: the Ottomans ; Arouj; Khairuddin ; Zayanid **;** Moulay Abd Allah; soued ; Hamid al-Abd ; the Spaniards ; Tennes; Algeria.

المقدمة: يقدم هذا المقال إطلالة على العراقيل التي واجهت العثمانيين في بسط نفوذهم في غرب الجزائر، ويكتسي أهميته في كونه يزيل الخلط الذي وقع فيه بعض مؤلفي المصادر والمراجع التي اطلعنا عليها بين أسماء حكام إمارة تنس، وبالتالي عدم التمييز بين المعارك التي حدثت بين عروج أو خير الدين من جهة، وحاكم المدينة الذي كان يقود هذه المعارك من

الجهة المقابلة، فقد حاولنا تحري الدقة في البحث عن المعلومات والتنبيه دوما إلى المصادر والمراجع التي وقعت في هذا الخلط.

قبل قدوم العثمانيين كانت مدينة تنس من أهم المدن الساحلية في المغرب الأوسط، حيث كانت الدول الناشئة في المغرب الإسلامي تعمل على ضمها إلى ممتلكاتها، نظرا لوقوعها على الطريق الساحلي الرابط بين شرق المغرب وغربه، كما كانت تربط مدن المغرب الأوسط والمدن الأندلسية بواسطة مينائها الذي كان من أهم موانئ المغرب الأوسط. واكتسبت هذه المدينة شهرتها مع بداية العهد العثماني بفعل إشراف حكامها على مقاومة الإخوة بربروس في غرب الجزائر، بعدما بسطوا نفوذهم على مدن من شرق الجزائر ومدينة الجزائر وضواحيها، ودامت هذه المقاومة فترة زمنية طويلة ومرت بمرحلتين، كانت الأولى بقيادة حكام ينتمون للعائلة الزيانية، والثانية بقيادة حميد العبد قائد قبيلة سويد العربية.

والإشكالية المحورية لهذا المقال هي: ما مدى تمسك بعض الحكام بمناصبهم، وكيف استعانوا بالأعداء للبقاء فيها رغم رفض السكان لهذه التبعية، وما مقدار الجهد والوقت الذي استغرقه العثمانيون لفتح المدينة ومواصلة الطريق إلى غاية مدينة تلمسان عاصمة الدولة الزيانية آنذاك؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية نقدم الفرضيتين التاليتين: ظهور هذه الإمارة كان نتيجة لضعف الدولة الزيانية، ورغبة الإسبان في طرد المسلمين من الأندلس، ومنعهم من العودة بإيجاد مواطن بديلة لهم.

- رغبة الإخوة بربروس في بسط نفوذهم على أكبر رقعة جغرافية من بلاد المغرب، وفي نفس الوقت مساعدة الأندلسيين باعتبارهم إخوة في الدين.

1- ظهور إمارة تنس في أواخر حكم الدولة الزيانية للمغرب الأوسط: عرفت الدولة الزيانية انطلاقا من عهد حاكمها أبي عبد الله محمد الثابتي[1] فتنا كثيرة ساهمت في إضعافها، وشلت قدرتها على الصمود في وجه الأخطار التي كانت تحيط بها، ونتج عنها استقلال الكثير من المدن عن طاعتها منها المدية وتنس[2] والجزائر وتدلس[3]، وعقب وفاة هذا الحاكم خلفه ابنه أبو عبد الله محمد الخامس[4]، وفي عهده ازدادت الدولة ضعفا بسبب الصراع على الحكم بينه وبين أخويه أبي زيان المسعود وأبي زيان سعيد يحي الثابتي[5] من جهة، وعمه أبي حمو موسى الثالث[6] من جهة أخرى، فآل الحكم بداية ولمدة قصيرة من سنة 909هـ/1503م إلى أخيه أبو زيان المسعود، واستولى بعدها أبو حمو موسى

الثالث على الحكم وسجن أبا زيان الثالث المسعود[7] ، بينما فر أبو زيان يحي الثابتي إلى وجهة اختلفت عليها المصادر بين إسبانيا[8] وفاس[9].

واستغل الإسبان فرصة قدوم أبي زيان يحي إليهم، وتدخلوا في هذا الصراع ودعموه بجيش توجه إلى مدينة تنس للسيطرة عليها والاستقلال بها عن الدولة الزيانية، وتمكنوا من ذلك سنة 912هـ/1506م[10]، وتركوا معه قوة اسبانية مكونة من أربعة سفن وخمسمائة مقاتل يستعملهم عند الحاجة[11]، وفي رواية تاريخية أخرى وردت عند حسن الوزان أشار فيها إلى أن أبي زيان يحي الذي نعته بالأخ الثالث فر إلى فاس محتميا بملكها، ثم طلبه سكان تنس وبايعوه ملكا[12]، ويتوافق معه مارمول كربخال في مكان الفرار ويزيد في التوضيح أكثر، حيث يشير إلى أن حاكم فاس أحمد الوطاسي هو الذي ساعده في الوصول إلى حكم تنس[13]، ولايوجد هنا أي إشارة للتدخل الإسباني في الأحداث. وهكذا ظهرت إمارة تنس مستقلة عن مملكة تلمسان بعد أن استسلم أبو حمو الثالث للأمر الواقع[14]، ولُقب حاكمها بأمير تنس[15]، أو ملك تنس[16]، أو سلطان تنس[17]، وعقب وفاة يحي خلفه ابنه أبو عبد الله[18]. ووفقا لكل المصادر والمراجع التي أرخت للصراع بين إمارة تنس والدولة العثمانية وكذا الرسائل التي خرجت أو وردت إلى تنس في شهر رجب 922هـ/ أوت 1516 من إسبانيا (الملحق رقم 02 و03) فإن الحاكم اسمه مولاي أبو عبد الله وبالتالي فإن فترة حكم يحي استمرت لسنوات قليلة امتدت من 912هـ/1506م إلى النصف الأول من سنة 922هـ/1516م. ووفقا لرسالة مجهولة التاريخ والمصدر يطلب فيها كاتبها من الكاردينال كسيمنس مساعدة ابني سالم التومي[19] وابن سلطان تنس على المحافظة على مُلكي والديهما فإن وفاة حاكم تنس لا تكون بعيدة عن وفاة سالم التومي سنة 922هـ/1516م (الملحق رقم 04).

وكانت هذه الإمارة تتركب من خمس مدن منها عاصمتها التي تحمل اسمها[20]، والمصادر لم تذكر أسماء هذه المدن باستثناء تنس التي كانت العاصمة، والمدية التي أشار لها حسن الوزان بأنها كانت تابعة لحاكم تنس[21]، وحسب الخريطة المنشورة في كتاب حسن الوزان فهذه المدن الخمسة هي تنس وبرشك وشرشال وملیانة والمدية، وحدد حاكمها امتدادها من نهر الشلف إلى قبر الرومية[22] (الملحق رقم 03)، وهي بهذا تمتد حدودها على طول مسار جريان وادي الشلف جنوبا وغربا وما وراء شرشال شرقا والبحر الأبيض المتوسط شمالا، ووضح مارمول حدودها بقوله: «يحدها من جهة الغرب عمل تلمسان ومن جهة الشرق عمل

EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636 ردمد
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

مدينة الجزائر، ويحدها جنوبا الأطلس وشمالا البحر المتوسط بين مصب نهر الشلف أو مصب كارطينا ومصب نهر الزعفران... »[23] (أنظر الخريطة الموالية). ولا نعرف مدى محافظة هذه الإمارة على مساحتها الجغرافية السابقة الذكر، لأن الأحداث التاريخية التي ركزت عليها المصادر التاريخية تشير دوما إلى عاصمة الإمارة في مدينة تنس دون الحديث عن المدن الأخرى التابعة للإمارة.

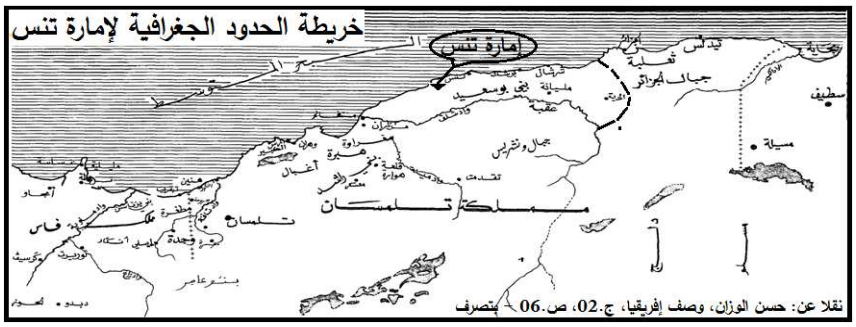

2- إمارة تنس في بداية الاستقرار العثماني في الجزائر: مع مطلع القرن 10هـ/16م ظهرت قوة جديدة تنافس الإسبان للسيطرة على المدن الساحلية جنوب البحر الأبيض المتوسط بقيادة الأخوين عروج[24] وخير الدين[25]، بدأت بمدينة جربة التونسية التي استقروا فيها سنة 918هـ/1512م وأسسوا فيها أول قاعدة لهم، ثم في نفس السنة حاولوا تحرير مدينة بجاية من الاسبان لكنهم فشلوا، واتجهوا إلى مدينة جيجل التي أسسوا فيها قاعدتهم الثانية سنة 920هـ/ 1514م ومنها شرعوا في التوسع غربا واستولوا على معظم المدن الساحلية الجزائرية ووصلوا إلى غاية مدينة تلمسان عاصمة الدولة الزيانية[26]. ومن المدن التي سيطر عليها العثمانيين مدينة تنس -عاصمة الإمارة التي تحمل اسمها-، التي دخلوها بعد الانتصار على حكامها الذين قاوموا وشكلوا صعوبات كثيرة حالت دون استقرارهم فيها إلى غاية سنة 959هـ/1552م، وتغير حكام الإمارة خلال هذه المقاومة من العائلة الزيانية التي حكمت الدولة الزيانية في المغرب الأوسط، إلى قبيلة سويد العربية وفقا لما يلي:

2-1- مقاومة حكام إمارة تنس الزيانيين للإخوة بربروس خلال سنة 922هـ/1516م: تزامنت المحاولة الأولى لسيطرة العثمانيين على عاصمة الإمارة في مدينة تنس مع حملتهم على مدينة الجزائر، ونتج عنها فرار حاكمها مولاي عبد الله إلى مدينة مستغانم، واستقر فيها متخفيا عند خاله الشيخ المنتصر، ثم بقي وحيدا في مستغانم بعد وفاة خاله (الملحق رقم

04)، وبعد فترة غير معلومة عاد مجددا إلى مدينة تنس بعد انسحاب العثمانيين منها، والدليل على ذلك مراسلاته مع الإسبان في 26 رجب 922هـ/25 أوت 1516م (الملحق رقم 03).

وللحفاظ على ملكه تآمر حاكم الإمارة مع الإسبان الذين سعوا لوقف زحف عروج وإخوته إلى المدن الجزائرية، ولهذا الغرض أعدوا جيشا بقيادة دييقو دوفيرا (Diego de Vera)، ولضمان نجاح مهمته راسل قائد الحامية الإسبانية بحصن الصخرة بالجزائر طالبا منه المساعدة[27]، ومن يحيى بن سالم التومي[28]، الذي خصه برسالة مؤرخة يوم19 رجب 922هـ/18 أوت 1516م (الملحق رقم01)، كما راسل أيضا مولاي عبد الله أمير تنس لنفس الغرض (الملحق رقم 02)، وتضمنت رسالته لأمير تنس أربعة عناصر رئيسية هي: ذكر أسباب هذه الحملة التي تنحصر في مواجهة العثمانيين والعرب الذين ثاروا ضد الاحتلال الإسباني.

- ذكر مكانة أبيه المتوفى لدى ملك إسبانيا.
- تركيز طلباته منه على الكتابة له لإخباره بما يحدث في الجهة الشرقية من بلاده.
- طمأنته على وضعه ومكانته كحاكم لإمارة تنس.

ولم يتأخر مولاي عبد الله في الإجابة، حيث رد عليه برسالة كتبها من مدينة تنس مؤرخة بيوم الأحد 26 رجب 922هـ/25 أوت 1516م (الملحق رقم 03)، وبين فيها استعداده للمساعدة مع إشارته إلى ضرورة تركه يحكم إمارته. وعليه انطلق الجيش الاسباني من بلاده ووصل إلى مدينة الجزائر يوم 03 رمضان 922هـ/سبتمبر 1516م وبدأت العمليات الحربية في اليوم الموالي، وكانت الخطة هي تشتيت جيش عروج بجعله يتأهب لقدوم أعدائه بحرا عن طريق الإسبان وبرا عن طريق الجيش القادم من تنس، لكن ولأسباب مجهولة تأخر قدوم جيش تنس رغم الاتصالات والتنسيق الذي كان بين حاكم مدينة تنس مولاي عبد الله وحاكم وهران ماركيس دو كوماريس (Marquis de Comares) بهدف التعاون على محاربة عروج، مما أدى بالقائد الإسباني إلى التفكير في الانسحاب، لكن قدوم خبر من حاكم تنس يفيد أن عددا كبيرا من الجنود آت لإغاثته جعله يؤجل انسحابه خمسة أيام أخرى، ومرت هذه المدة دون ظهور هذا الجيش الموعود لأسباب مجهولة، وعندما قرر الرحيل هبت رياح شرقية شديدة القوة حطمت معظم قطع الأسطول الإسباني، وهو مازاد في سهولة عمل عروج في التغلب على الجيش الإسباني[29]. وتزامن هذا النصر مع قرب قدوم

فصل الشتاء فتوقفت الأعمال الحربية وتركز العثمانيون أكثر في حكم مدينة الجزائر، مع بقاء تنس على حالها في قبضة حاكمها مولاي عبد الله المتآمر مع الإسبان.

وبعد هذا النصر بوقت قصير قدم خير الدين من جيجل قاصدا مدينة الجزائر لتهنئة أخواه عروج وإسحاق بالنصر على الإسبان واستقر فيها طيلة فصل الشتاء[30]. وبعد حلول فصل الربيع عادت حركة السفن في البحر وجاء دور مدينة تنس التي كثرت الأخبار السيئة الواردة منها إلى عروج وخير الدين، فقد كانت تعاني من حاكمها المتعاون مع فرقة من الجيش الاسباني التي تسلط جنودها على أهل المدينة بنهب كل ماوقع بين أيديهم من ممتلكاتهم وإرسالها إلى إسبانيا، فأصبحت هذه الأخبار من جهة ورغبة عروج في ضم هذه المدينة لسلطته من جهة أخرى حافزا رئيسيا في خروج خير الدين إليها بحرا للسيطرة عليها[31]، وليجعل من هذا الحاكم عبرة لكل حكام المناطق المجاورة باعتباره كان حاكما لأقوى إمارة في المنطقة آنذاك[32]، ووصل أسطول خير الدين المكون من عشر سفن إلى ميناء المدينة وتصادف وصوله مع وجود أربع سفن إسبانية راسية في الميناء، وعند تفطن الجنود الإسبان الذين كانوا على سطحها لوصول خير الدين فروا منها إلى البر وتحصنوا في قلعة المدينة ذات الأسوار المنيعة[33].

ثم نزل خير الدين وجيشه المكون من ألف وخمسمائة جندي إلى البر وعسكر قرب القلعة متوقعا مقاومة شديدة من حاكمها وأعوانه لكنه وجد أبواب القلعة مفتوحة فلما دخل منها استقبله بعض مئات من سكانها مرحبين به وقالوا له: «**مرحبا بكم أيها المجاهدون لقد غادر الإسبان القلعة ليلا مع حليفهم أميرنا. ربما كانوا أحد عشر ألفا لقد خرجوا كلهم بمن معهم من رجال الأمير. أما من بقي في المدينة، فإنهم لا يرضون بغيركم وغير أخيكم السلطان عروج**»[34]. وفي رواية تاريخية أخرى قدمتها مصادر أخرى توضح تفاصيل مختلفة قليلا عن الرواية المدونة في مذكرات خير الدين، حيث ذكرت هذه المصادر أن خير الدين حاصر المدينة يوما كاملا من الصبح إلى العصر، ثم طلب من حاكمها عن طريق بعض شيوخها الصلح واتفقوا على اللقاء في الصباح الموالي، لكن حاكم تنس فر ليلا[35]، أما ماذكره دي قرامونت في كتابه تاريخ الجزائر من معلومات تاريخية عن هذه الأحداث فيتضح أنه يخلط بينها وبين المعركة التي ستذكر لاحقا والتي وقعت بين عروج وحاكم تنس وحلفائه[36]، لكن استباقه للأحداث جعله يخلط في أسماء حكام تنس ففي هذه الحالة يذكر بأن حاكم تنس هو مولاي عبد الله، فمن حيث توقيت ذكره للأحداث فإن

حاكم تنس هو فعلا مولاي عبد الله، لكن إذا وضعنا الأحداث التي ذكرها في ترتيبها التاريخي الصحيح فإن حاكم تنس هو حميد العبد شيخ قبيلة سويد وهي المعركة التي سنذكرها في المرحلة الثانية من مقاومة حكام المدينة للعثمانيين والتي تزعمتها قبيلة سويد العربية.

وبعدها كلف خير الدين جنوده بتعقب الفارين وتمكنوا من اللحاق بهم في اليوم الموالي، بقولهم: «**إلى أين المفر أيها الملاحدة المارقون؟ ألا تعلمون أنه لا خلاص لكم اليوم من أيدينا؟**»...، وشرعوا في قتالهم بداية بالأسلحة النارية ثم بالسيوف وانتهت المعركة بانتصار جنود خير الدين ووفاة عدد كبير من جنود العدو وأسر ثلاثمائة وخمسين جنديا منهم، وتوفي من جنود خير الدين سبعين أو ثمانين جنديا، كما غنموا كل ما وجدوه في المدينة من المؤن والمعدات العسكرية المتنوعة[37]، وبقي مصير حاكم تنس مجهولا وفقا للمصدر الذي ذكر الأحداث السابقة، ووفقا لما سيلي من الأحداث فإنه تمكن من الفرار والاستقرار بعيدا عن خير الدين وجنوده. ثم استقر خير الدين في مدينة تنس مدة زمنية قصيرة للراحة وعين أحد ضباط جيشه حاكما جديدا فيها وعاد إلى الجزائر في ست عشرة سفينة، وعند وصوله إليها تلقى تهاني أخواه عروج وإسحاق[38].

وبعد عودة خير الدين إلى الجزائر شرع مع أخيه عروج في تنظيم حكم المناطق التي فتحوها فقسماها إلى قسمين، قسم غربي مقره في مدينة الجزائر بقيادة عروج وقسم شرقي مقره في مدينة تدلس بقيادة خير الدين[39]، ولما علم حاكم تنس السابق باستقرار خير الدين في مقر ولايته بتدلس خرج من مخبئه واسترد مدينة تنس بمساعدة الإسبان وموافقة أهلها[40]، وانطلق في الإغارة على المناطق الغربية التي كانت تحت سلطة عروج[41]، وهو ما أغضب عروج فقرر استدعاء أخاه خير الدين من تدلس وكلفه بالنيابة عنه في مدينة الجزائر، وجهز حملة باتجاه الغرب للقضاء على حاكم تنس مدعما بفتوى علماء الجزائر بجواز قتله لتعاونه مع الكفار الاسبان[42]، وعند اقترابه من المدينة خاف أهل تنس على أنفسهم فقاموا بتقييد حاكم تنس وسلموه لعروج قائلين له: «**أنت السلطان ونحن عبيدك الذنب منا والعفو منك**»، فعفا عن أهل تنس وقتل الحاكم وبعض أعيان المدينة الذين نكثوا عهدهم السابق بالولاء للعثمانيين[43].

واختلفت المصادر في ذكر مصير حاكم تنس عن الرواية السابقة، فمارمول قال: «... **حتى اضطره إلى الانتقال إلى قشتالة ومعه عياله وأحد إخوته، طالبا نجدة شارلكانت، ولما طال انتظاره قبل إرضائه عاد إلى وهران وفي اعتقاده أن نبيل قمارش يدافع عنه**

لدى الملك المسيحي، وفي تلك الأثناء ألهمه الله إلى اعتناق الدين المسيحي، واتبعه أخوه في التنصر، وعاد إلى قشتالة حيث تم تعميدهما ودخلت إمارتهما في حكم الأتراك إلى يومنا هذا...»[44]، بينما قال الوزان: «... **واضطر إلى التوجه إلى إسبانيا عند جلالة الإمبراطور القيصر شارل الذي كان حينئذ سوى ملك إسبانيا، فوعده بالمساعدة، إلا انه ماطله، فتنصر هذا الأمير هو وأخوه الأصغر، وأقاما بإسبانيا يتقاضيان معاشا مهما من الإمبراطور. وآلت تنس إلى أحد الأخوين التركيين بربروس (خير الدين)...»**[45].

وهاتان الروايتان تربطان مصير حاكم إمارة تنس بالإسبان الذين قدموا له الحماية وامتنعوا عن مساعدته بالمماطلة فأدى هذا إلى توقف نشاطه في المقاومة واستقر مع أخيه في إسبانيا وخلالها تنصر، ويمكن ربط هذا الرفض من الإسبان بعدم وفائه بعهده فيما سبق بإرسال العون للجيش الإسباني القادم لاحتلال مدينة الجزائر يوم03 رمضان 922هـ/ 30 سبتمبر 1516م. وكل الروايات المذكورة سابقا كانت نتيجتها واحدة، وهي نهاية الحكم الزياني لمدينة تنس وبداية عهد جديد لهذه المدينة.

2-2- مقاومة حكام إمارة تنس السويديين للإخوة بربروس من 923هـ/1517م إلى 959هـ/ 1552م: بعد تقهقر مكانة الدولة الزيانية وانحسارها جغرافيا آلت الكثير من المناطق التي كانت تحكمها إلى القبائل التي تقطن فيها أو بقربها، وكانت مدينة تنس من نصيب قبيلة سويد، وهي من أقوى بطون قبيلة زغبة العربية وموطنها يمتد ما بين وانشريس وتلمسان عرضا وخليج أرزيو والشط الشرقي طولا[46]، ووصف حسن الوزان هذه القبيلة في أثناء تبعيتها لإمارة تنس الزيانية بقوله: «**تقطن سويد القفار الممتدة نحو مملكة تنس، ولهم صيت بعيد وسيطرة واسعة وأجور يتقاضونها من ملك تنس، وهم شرفاء شجعان يمتلكون كل ما يحتاجون إليه**»[47].

وشيخها في سنة 923هـ/1517م هو حميد العبد، الذي لُقب باسم العبد نسبة للونه الأسود، ولا يظهر اسمه في المصادر والمراجع إلا انطلاقا من حادثة استعداد القبائل العربية الواقعة غرب مدينة الجزائر لمواجهة التدخل العثماني فيها[48]، وكان هذا الحاكم قويا إلى درجة أن كل قبيلته اشتهرت باسم بني حميدة العبد[49]، وقد مرت مقاومة هذه القبيلة بمرحلتين كانت في أولاها قوية اتسمت فيها بالعداء للعثمانيين وتزعم مقاومتهم، وفي الثانية ضعفت مما حتم عليها الانضمام إليهم والحكم باسمهم.

2-2-1- مرحلة القوة من 923 إلى 924هـ(1517-1518م): كانت قبيلة سويد في هذه المرحلة قوية اكتسب خلالها حاكمها حميد العبد شهرة كبيرة لدى حكام القبائل العربية المجاورة له[50]، الذين قلقوا من تنامي قوة العثمانيين مما ضيق من نفوذهم، فازداد خوفهم من فقدان مكانتهم وقوتهم فاجتمعوا فيما بينهم، وقرروا الاستعانة بحميد العبد شيخ قبيلة سويد وحاكم تنس، ووقع اختيارهم على أربعة من خيرة أفرادهم، شكلوا بهم وفدا اتجه إليه لمناقشة الأمر معه، واجتمع معهم فطلبوا منه الحماية والمساعدة للقضاء على هذه القوة الجديدة التي تهدد وجودهم كزعماء في قبائلهم[51]، ويلتزمون بدفع الضرائب له في حالة نجاحه[52].

وأبدى حميد العبد إعجابه بمقترحاتهم وفي أثناء رده عليهم وضح لهم مخاوفه من قوة عروج الكبيرة، ثم وافق على مساعدتهم واشترط عليهم التبعية له والحكم باسمه، ونظرا للوضعية المتدهورة التي كان عليها زعماء هذه القبائل وافقوا على شرطه دون مجادلة[53]. وهي فرصة جاءته للقضاء على الخطر قبل وصوله إليه لأنه كان جد متأثر بما حدث لسليم التومي في مدينة الجزائر عندما داهمه عروج[54]، كما مثل مددا سيساعده في الحفاظ على مكانته ومكانة قبيلته، وقد «**كان لسويد ماض حافل وكانت تحكم مساحة شاسعة تمتد من مستغانم غربا إلى العطاف شرقا، ثم امتد نفوذها إلى ضواحي مدينة الجزائر، وكان لها أمراء وقادة يحكمون إمارة تنس، فالوجود العثماني إذن كان يعني نهاية هذا المجد والثروات التي تنتجها الأراضي الخصبة التي كانت تحت أيدي سويد**»[55].

ولم يضيع حميد العبد الوقت وشرع في تجهيز جيشا وصل تعداده إلى عشرة آلاف فارس[56]، وانطلق من تنس خلال شهر جمادى الأولى والثانية 923هـ/جوان 1517م[57]، وفي أثناء سيره انظمت إليه القبائل التي مر بها فتشكل له جيش كبير[58]، واتجه إلى حدود ولاية الجزائر قرب نهر الشلف ليكون قريبا من مدينة تنس وغير بعيد عن مدينة الجزائر. وسمع عروج بما كان يخطط له فجهز نفسه لمواجهة الأمر، حيث قام باستدعاء أخاه خير الدين من مقر ولايته بتدلس، ووكل له مهمة تسيير الولايتين معا انطلاقا من مدينة الجزائر، وسار برا على رأس جيش مؤلف من ألف تركي حاملين بنادق وفرق من الأندلسيين[59]، وأخذ معه عشرين من رؤساء القبائل حتى يضمن عدم الثورة ضده في مدينة الجزائر أثناء غيابه[60]، وفي طريقه سيطر على المدية ومليانة، والبليدة[61]، وحارب كل العائلات الكبيرة التي تعاملت

مع الإسبان حتى تكون عبرة لغيرها، وتمكن من قطع المسافة الفاصلة بينه وبين ميدان المعركة في ظرف يومين[62].

وبعد معركة كبيرة على ضفاف نهر الشلف تمكن عروج من التغلب على حميد العبد[63]، ففر هذا الأخير وجيشه وتبعهم عبر الجبال إلى غاية مدينة تنس[64] التي دخل إليها الفارون وأغلقوا أبوابها ولحقهم إليها وحاصرهم فيها مدة يومين[65]، وباءت مقاومتهم بالفشل واستطاع الدخول إلى المدينة والقبض عليهم، ودخل قصرها واستولى على كل الأشياء التي لم يستطع حميد العبد أخذها معه أثناء فراره باتجاه جبال الأطلس خوفا من إلقاء القبض عليه[66]، ومنها واصل طريقه إلى الصحراء[67]، ولجأ في الأخير إلى أبي حمو حاكم تلمسان[68]. ثم اتجه عروج إلى القبائل التي كانت تقطن المناطق المحيطة بمدينة تنس لإخضاعها لسلطته ونال اعترافها به حاكما عليها[69]، ولم يعامل سكان مدينة تنس بقسوة واكتفى بفرض ضريبة عالية عليهم وغنم كل ما وجده عندهم بما فيها سفنهم الأربعة التي كانت راسية في الميناء[70].

وبعد سيطرته على تنس أصبح يستعمل مرساها وسيلة لنقل السلاح القادم بحرا من مدينة الجزائر لمواصلة عملياته العسكرية باتجاه الغرب خاصة إلى تلمسان. ومع قدوم طلب المساعدة من أهل تلمسان شرع في الاستعداد للزحف نحوها، فكتب لأخيه خير الدين الموجود في مدينة الجزائر طالبا منه إرسال أسلحة بحرا إلى ميناء تنس، تمثلت في عشرة مدافع خفيفة الوزن مرفقة بما تحتاجه من بارود حتى يتمكن من أخذها معه في تنقلاته البرية باتجاه تلمسان، ووصل كل ما طلبه بعد أيام إلى تنس على متن خمسة سفن صغيرة (غليوتات)[71]، وقبل انطلاق حملته الى تلمسان ترك أخاه الثاني إسحاق بن يعقوب في مكانه كحاكم لتنس متخذا من قلعة بني راشد[72] مقرا لملكه، ومدعما بـ200 من الجنود العثمانيين وعدد آخر من الجنود الأندلسيين حتى يتمكن من مراقبة الحركة في الطريق ويعيق تحرك القادمين من وهران خاصة[73]، والتقى الجيشان بعيدا عن مدينة تلمسان، وتمكن عروج من التغلب على أبي حمو الثالث المدعوم بحاكم تنس حميد العبد الذي عاد من منفاه بالصحراء، واضطر أبو حمو الثالث إلى الفرار ، كما فر كذلك حاكم تنس حميد العبد إلى منفاه الاختياري في الصحراء، وهذه الأحداث وقعت كلها خلال شهر شعبان 923هـ/سبتمبر 1517م[74]، وبقي عروج في تلمسان طيلة ما تبقى من هذه السنة وأصبحت الجزائر مقسمة

بين الإخوة باربا روس فعروج أصبح حاكما لتلمسان، وإسحاق بن يعقوب في تنس ومقره قلعة بني راشد، وخير الدين في شرق وغرب مدينة الجزائر ومقره مدينة الجزائر[75].

2-2-2- مرحلة الضعف من 924 إلى 959هـ(1518-1552م) واختفائها من الصراع: في هذه المرحلة بدأت مقاومة حاكم تنس وحلفائه تتلاشى تدريجيا واضطروا خلالها إلى الاعتراف بسلطة العثمانيين والحكم باسمهم، مع ظهور محاولات بين الحين والآخر لاستعادة النفوذ لكنها كانت تفشل دوما بعد تدخل العثمانيين، وأول هذه المحاولات تمثلت في دخول أبي حمو الثالث إلى تلمسان مجددا بعد مقتل إسحاق وعروج سنة 924هـ/1518م من طرف الإسبان وأعوانهم من العرب والبربر، ثم بسط نفوذه إلى غاية مدينة مليانة بما فيها مدينة تنس[76]، وعاد الحكام القدامى لتنس وشرشال إلى مناصبهم وفكوا تبعيتهم للعثمانيين[77]، وبقيت المدينتان على حالهما إلى أن استعاد العثمانيون قوتهم على يد حاكمهم العائد من جديد خير الدين، الذي أصبح يحكم إيالة الجزائر التابعة للدولة العثمانية انطلاقا من سنة 924هـ/1518م، وجعل أول أعماله استعادة ما فُقد بعد وفاة أخيه عروج، فتمكن من ذلك، ولضمان الأمن أكثر قرر توزيع بعض جنوده في المدن التي استردها من السيطرة الإسبانية، مثل مستغانم وتنس ومليانة[78].

ومن أجل تجنب ثورات القبائل العربية مستقبلا عمد خير الدين إلى تعيين حاكم تنس القديم حميد العبد في منصبه مع اشتراطه عليه دفع ضرائب سنوية له[79]، فقبل في البداية وعندما أتيحت له الفرصة خان العهد واستقل بمملكته مستعينا بالإسبان فقرر خير الدين محاربته «**إزاء ذلك كلف الريس خضر (خير الدين) عساكره ومؤيديه بالتوجه إلى تنس وشرشال لتأديبهما تأديبا لائقا بهم**»[80]، وقد جرت تفاصيل هذه العملية في ربيع 926هـ/1520م وخلالها أرسل خير الدين «**قوة إلى تنس لاحتلالها، فطلب قائد تنس النجدة من إسبانيا، فقدمت خمس عشرة سفينة لمساعدته، لكن الريس خير الدين أرسل ثمان عشرة سفينة لدعم القوة التي أرسلها سابقا، وقاد بنفسه قوة بحرية أخرى، وتوجه مباشرة إلى تنس واحتل قلعتها، وأسر خمس سفن للأعداء، ومن بعدها عاد إلى الجزائر**»[81].

ورغم هذه النكسة مع حاكم تنس إلا أن خير الدين لم يغير سياسته في الاعتماد على الحكام المحليين في تسيير المناطق الواقعة تحت نفوذه، وهذا رغبة منه في المحافظة على الاستقرار والأمن في البلاد، فجعل الناحية الشرقية الممتدة من شرقي العاصمة إلى حدود

الدولة الحفصية بقيادة أحمد بن القاضي حاكم كوكو بمنطقة القبائل، والناحية الغربية الممتدة من مدينة الجزائر إلى الحدود الغربية لدولة بني زيان بقيادة محمد بن علي[82]، ووقع له مع أحمد بن القاضي ما وقع مع حاكم تنس قبل هذا التقسيم، بحيث اتفق أحمد بن القاضي سرا مع حاكم الدولة الحفصية في تونس على محاربة خير الدين، فأثناء المعركة بين خير الدين وحاكم الدولة الحفصية تظاهر أحمد بن القاضي بالقتال مع خير الدين أثناء المواجهة، ثم انقلب عليه أثناء المعركة وراح يقاتل إلى جانب حاكم الدولة الحفصية، مما أدى إلى انهزام خير الدين فضعفت قوته وهو ما ساهم في انسحابه من كل المناطق التي كانت تحت حكمه بما فيها مدينة الجزائر واضطر للعودة إلى قاعدته السابقة بمدينة جيجل، وهكذا حكم بن القاضي مدينة الجزائر وضواحيها انطلاقا من سنة 926هـ/ 1520م[83]، وفي أثناء هذه الفوضى اغتنم حاكما مدينتي شرشال وتنس الفرصة واستقلا بحكمهما[84] وتحالفا مع بن القاضي[85]، واستمر هذا الوضع إلى غاية سنة 932هـ/1526م أو 933هـ/1527م، تاريخ عودة خير الدين إلى مدينة الجزائر وقضائه على بن القاضي.

وشرع في بسط نفوذه شرقا وغربا، مسترجعا بذلك المدن التي استقلت عن حكم الدولة العثمانية في الجزائر، وكان مصير حكام كل من تنس وشرشال الموت بحيث ألقى عليهم خير الدين القبض وقطع رؤوسهم، وواصل توسعه حتى تمكن من مد نفوذه على الساحل الممتد من جيجل إلى وهران[86]، وحسب بعض المؤرخين فإن حاكم تنس حميد العبد لم يتم القضاء عليه وإنما فر إلى الصحراء، ثم «استعاد بالمفاوضة سيادته على سويد وعاد إلى سكناه بتنس، وأن خير الدين شقيق عروج الأصغر هو الذي اتفق معه على ذلك»[87]. وهي رواية تتوافق مع سير الأحداث الموالية تبين بأن حاكم تنس حميد العبد بقي يسير المدينة إلى وفاته سنة 959هـ/ 1552م. وعليه فإن الحكام المقصودون بالقتل قد يكونوا أشخاصا في درجة أقل من المسؤولية وليسوا الحكام في حد ذاتهم. وفي مرجع آخر لم تشر معلوماته إلى قتلهم أو وفاتهم، وهي أقرب إلى التصديق حيث ورد فيها: «... **فقام باسترجاع تنس وشرشال التي كانت تتحالف مع ابن القاضي، وعاقب بكل قسوة الرؤساء الذين تمردوا.**»[88].

3- استقرار العثمانيين في مدينة تنس: استقر العثمانيون نهائيا في مدينة تنس بعد تمكنهم من إقناع حميد العبد بالحكم باسمهم، الذي بقي وفيا لاتفاقه مع خير الدين رغم وجود بعض المحاولات لتسليم المدينة للإسبان من طرف حاكم تلمسان مولاي محمد[89]، الذي

ظن أن أمر العثمانيين قد انتهى وأنه وجب عليه طاعة الإسبان بعد سيطرتهم على تونس، فأرسل لهم رسالة مؤرخة يوم 06 ربيع الأول 942هـ/05 سبتمبر 1535م تتضمن مشروع معاهدة يلتزم فيها بطاعتهم وتسليمهم كل الموانئ التي يستولوا عليها بما فيها ميناء مدينة تنس[90]، وقد نص بندها السادس على ما يلي: «**إذا ما فتح جلالة الإمبراطور مدن الجزائر وشرشال وتنس، فله أن يبقي تحت سلطاته المدن المذكورة وغيرها من المراسي التي يود جلالته الاحتفاظ بها، أما داخلية البلاد المذكورة فيجب أن ترجع لي، لأنها كانت من ممتلكات آبائي وأجدادي**»[91].

وفي الفترة الأخيرة من حكمه أصبحت مدينة تنس محطة مهمة يعتمد عليها الحكام العثمانيون في مد نفوذهم أو استرجاعه في كل المناطق الواقعة غرب مدينة تنس، فكان حاكمها يمدهم بالمساعدات أو يستقبل الأسلحة التي كانت تصل من مدينة الجزائر بحرا، ويحولها إلى أماكن تمركز الجنود العثمانيين، ففي عهد الولاية الأولى للحاكم التركي في الجزائر حسن باشا بن خير الدين (951- 959هـ/1544-1552م) نظم حملة للسيطرة على تلمسان بعد عام من تعيينه، فانطلق من مدينة الجزائر خلال بداية شهر ربيع الثاني 952هـ/جوان1545م[92] باتجاه مدينة تلمسان بجيش مكون من ثلاثة آلاف تركي وألف من الخيالة وعشرة مدافع، وفي طريقه مر بمدينة تنس وكانت مازالت تحت حكم حميد العبد فأمده بألفي فارس مع خيولهم، وتمكن حسن بن خير الدين من الاستيلاء على تلمسان ثم عاد إلى الجزائر[93]، ثم عاود أهل تلمسان طلبهم المساعدة من حسن بن خير الدين سنة 953هـ/1546م[94]، فخرج إليهم بنفس التعداد الذي خرج به سنة 952هـ/1545م وساعده حاكم تنس بنفس العدد، أما الأسلحة فأرسل ثمانية مدافع والبارود وبعض العتاد الحربي بحرا باتجاه تنس، ومن هناك أخذها برا إلى ميدان المعركة، وفي أثناء الاستعداد للحرب وفد عليه رسول يخبره بوفاة والده خير الدين، مما اضطره إلى عقد اتفاق مع القائد الإسباني الذي كان مع حاكم تلمسان، وبعد يومين غادر باتجاه الجزائر وأثناء مروره بتنس ترك مدفعيته وذخائره هناك لاستعادتها فيما بعد بحرا باتجاه الجزائر[95].

وبعد عزل البايلرباي حسن بن خير الدين عن الحكم سنة 958هـ/1551م وانتقاله إلى اسطنبول بطلب من طرف السلطان العثماني سليمان الأول (سليمان القانوني) (926-974هـ/1520-1566)، ترك في مكانه حاكم مؤقت للجزائر هو صفاح خليفي، من أواخر شهر رمضان 958هـ/سبتمبر1551م إلى جمادى الأولى 959هـ/ أفريل 1552م تاريخ قدوم الحاكم

الجديد للجزائر صالح رايس (959- 963هـ/1552-1556م)[96]، وتصادفت هذه التغييرات مع وفاة حاكم تنس حميد العبد فعين العثمانيون صفاح خليفي خلفا له وبقي هذا الحاكم واليا عليها مدة أكثر من عشر سنوات إلى أن توفي[97].

لكن مايثير التساؤل هو لماذا لم تترك المدينة في يد قبيلة سويد وأسندت إلى حاكم تركي[98] خاصة وأن حميد العبد كانت علاقته جيدة معهم منذ الاتفاق الذي حصل بينه وبين خير الدين[99]، والإجابة عنه يمكن حصرها في مكانة المدينة آنذاك ودورها في بسط نفوذ العثمانيين في غرب الجزائر، وبموجب هذا التغيير فقدت قبيلة سويد مكانتها التي حاولت استعادتها من خلال ثورتها التي دامت أكثر من مائتي عام[100]، وعرفت بثورة لمحال[101]، واتخذت من مدينة تنس قاعدة لها باعتبارها كانت مقر حكمهم سابقا[102]، واستمرت إلى غاية عهدة الداي علي باشا نقسيس (1167 إلى 1180هـ(1754-1766م) الذي تمكن من قهر هذه الثورة سنة 1168هـ/1755م بعد جهد كبير[103]، وهكذا أصبح الحكام يأتونها من قبل الدولة العثمانية في الجزائر وحاكمها يسير المدينة بمساعدة 25 تركي[104]. وتغيرت تبعيتها الإدارية وفقا للتغييرات التي كان يحدثها حكام الدولة العثمانية في الجزائر وكانت تابعة للولاية الغربية إلى غاية نهاية مرحلة الفتح التركي سنة951هـ/1544م، وبعده جاء عصر البايلربايات بولاية حسن باشا بن خير الدين الذي لم يحدث أي تغيير على التقسيم الإداري القديم حتى ولايته الأخيرة (964-975هـ/1557-1567م)، حيث اعتمد تقسيما جديدا مكون من أربع ولايات هي: دار السلطان وبايلك التيطري وبايلك الغرب وبايلك الشرق، فدار السلطان تمتد من تدلس شرقا إلى تنس غربا، ومن ساحل البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى سفوح الأطلس البليدي جنوبا[105]. وتخضع مباشرة لسيطرة الإدارة المركزية (البيلرباي)، وبقيت القبائل التي تقطن جبال تنس وضواحيها غير خاضعة لسلطة الآغا والباي[106].

ومن تتبع الأحداث فإن مدينة تنس حُكمت مباشرة من طرف العثمانيين انطلاقا من سنة 959هـ/1552م بعدما اكتفت في البداية بتعيين حاكمها السابق حميد العبد الذي استمر في منصبه إلى غاية وفاته، ولا يستبعد أن تكون استقلت تحت حكم قبيلة سويد خلال ثورتها ضد العثمانيين التي دامت قرنين بسبب إزاحتها من حكم مدينة تنس وضواحيها بعد وفاة حاكمها حميد العبد، كما أن التباين الموجود بين المصادر والمراجع حول تبعيتها لدار السلطان أو لبايلك الغرب أو عدم وجودها في كليهما، يمكن تفسيره باستقلال

المدينة خلال بعض الفترات من ثورتها السابقة الذكر، وما يرجح هذا الاحتمال أكثر هو ما ذكره فالانسي Valensi عنها في أواخر القرن 12هـ/18م بأنها كانت مقرا لمقاطعة تحمل اسمها[107].

وكانت المدينة مربوطة بمدينة الجزائر بطريق «**يساير طريق القليعة، وبعد أن يجتاز مدينة القليعة يسلك المرتفعات الساحلية القريبة من البحر حتى وادي الناظور ثم سفوح جبل شنوة الجنوبية فوادي الهاشم فشرشال، ومن شرشال يمكن الوصول عن طريق ساحل البحر إلى مدينة تنس**»[108]. وآخر حاكم قادها خلال العهد العثماني هو ميلود بن عراش[109]، ونظرا لوفائه ووطنيته اعتمد الأمير عبد القادر عليه في تسيير شؤون المدينة فجعله آغا عليها، وبقي فيها إلى غاية احتلالها من طرف الفرنسيين يوم 1 ربيع الثاني1259هـ/1 ماي 1843م[110].

الخاتمة: يمثل الصراع على السلطة السمة البارزة التي طبعت مسيرة الدولة الزيانية، وكان متحكما فيه يوم كانت الدولة قوية، لكنه خرج عن السيطرة في فترة ضعف الدولة ونتج عنه انشقاق لأفراد الأسرة الحاكمة وبروز مناطق نفوذ خاصة بكل واحد تحولت بعضها إلى إمارات منها إمارة تنس، وكان للدعم الإسباني اليد الطولى فيه، خاصة وأن هذه الفترة تميزت بوضع جديد نتج عن سقوط آخر معاقل المسلمين في الأندلس، ورغبة الإسبان في إيجاد مواطن للمسلمين المرحلين من الأندلس من جهة، ومنعهم من العودة إلى الأندلس من جهة أخرى، وبالتالي تضاعفت رغبتهم في السيطرة على الساحل المغربي بصفة مباشرة أو غير مباشرة.

وكان لظهور العثمانيين في هذه الفترة العقبة التي وقفت في وجه الاسبان، فعملوا على تحريض القبائل المحلية ضدهم، فدعموا قيام دويلات حتى يتم إضعافهم وإخضاعهم في نفس الوقت وجعلهم في مواجهة العثمانيين فيشغلوهم بمواجهتها. وأخذت مدينة تنس النصيب الأوفر من هذا الصراع الذي استمر مدة طويلة، بحيث نجح الإسبان في جعل حكامها وسيلة لعرقلة زحف الإخوة بربروس نحو تلمسان مرورا بوهران التي عانت كثيرا من الوجود الإسباني. ورغم هذه المقاومة التي أبداها الأمراء في تنس سواء المنحدرين من العائلة الزيانية أو من قبيلة سويد، إلا أنهم استسلموا في الأخير وأصبحت المدينة جزءً من إيالة الجزائر العثمانية.

الملحق رقم 01: الرسالة التي بعث بها قائد الجيش الإسباني دييقو دوفيرا Diego de Vera، لطلب المساعدة من يحي بن سالم التومي، يوم 18 أوت 1516م/19 رجب922هـ

«أيها الشريف الشجاع والسيد الأمين، إن مولانا الملك وقداسة الكاردينال والي المملكة الإسبانية، بلغتهما موت أبيك الصادق الأمين، وفي استبار البلا، إدراك أن لموت مثل هذا الرجل، يجب أن تلقن وأن تلتهم، وللأخذ بالثأر، ومعاقبة المجرمين، فإن الأمر صدر لجمع أسطول كبير وجيش عظيم إذ للجريمة عقوبة تكون عبرة لدانيها وسامعها، ولهذا تهيئ واستعد لمساعدتنا عندما نصل إلى مدينة الجزائر حتى نقضي على الأتراك ومن تبعهم من العرب الذين كانوا سببا في قتل أبيك، وحتى لا ينجو أحدهم من البر، أما من جهة البحر فسأكفيك شرهم ولايستطيعون هروبا دون ألاحقهم ولو فروا إلى إسطنبول ولهذا تكون ضرورة تحرير خدم أبيك القدماء ومجازاتهم، والمحافظة على أملاكهم وإن قداسة الكاردينال قد حملني وصية تخص شرفك وشرف أهلك ...»

المصدر: عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر: نشأتها وتطورها قبل 1830، الطبعة الأولى، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص.ص.166 و 168. وهي مترجمة إلى اللغة الفرنسية في كتاب :

-A.BERBRUGGER, Le Pegnon d'Alger ou les origines du gouvernement Turc en Algérie, Alger, 1860, p.p.28-27.

الملحق رقم 02: الرسالة التي بعث بها قائد الجيش الإسباني دييقو دو بيرا (Diego de Vera)، لطلب المساعدة من مولاي عبد الله حاكم تنس، يوم 18 أوت 1516م/19 رجب922هـ

Diego do Vera écrivait du même lieu et à la même date la lettre suivante adressée à Moula Abou Abdallah, roi de Ténès: « A l'honoré et loué entre les Arabes, Muley Bavdeli, roi de Ténès :

«Je suis venu dans cette ville pour organiser la flotte que le Roi notre maître et le révérendissime seigneur cardinal d'Espagne, gouverneur de ces Royaumes, ont ordonné d'assembler à l'encontre des Turcs el des Arabes qui se sont révoltés contre leur service. Ayant été jadis grand serviteur de votre père à cause de son extrême loyauté et bonne amitié envers le Roi notre seigneur qui est à présent dans la gloire (de Dieu), j'ai toujours eu et aurai toujours cette même disposition à votre service Comme je suis dans l'incertitude, quant à certaines parties de vos Etats, dont on me dit ici des choses quo je ne croirai qu'autant que vous-même me les attesterez, je vous prie de m'écrire ce qui on est, afin que je les garde ainsi que l'exige le service du Roi notre seigneur et le vôtre. Car la volonté du Roi notre seigneur et celle de tous les membres de son conseil est quo votre personne et vos Etats soient protégés et gardés comme il convient envers un prince aussi loyal que vous l'êtes et fils d'un roi aussi loyal.

«Le capitaine Vergara qui vous remettra cette lettre vous parlera plus au long de ma part- Votre Altesse voudra bien lui accorder le même crédit qu'à ma propre personne. Que Dieu fasse prospérer votre existence et votre Etal royal à son service».

-A.BERBRUGGER, Le Pegnon d'Alger ou les origines du gouvernement Turc en Algérie, Alger, 1860, p.p.28-29.

ترجمة الرسالة: كتب دييغو دو فيرا من نفس المكان وفي نفس التاريخ الرسالة التالية الموجهة إلى المولى أبو عبد الله، ملك تنس:

«إلى المكرم والممدوح بين العرب، مولاي بافديلي، ملك تنس: "لقد أتيت إلى هذه المدينة لتنظيم الأسطول الذي أمر به مولانا الملك وقداسة الكاردينال والي المملكة الإسبانية، قدموا لنا أمرا بالتجمع ضد الأتراك والعرب الذين ثاروا ضدهم. لقد كنت سابقا خادماً عظيماً لوالدكم بسبب ولائه الشديد وصداقته الطيبة للملك ربنا الذي هو الآن في مجد (الله)، لقد كان لدي دائمًا وسيظل دائمًا نفس التصرف في خدمتك، وباعتباري أشك فيما حدث في بعض الأجزاء من دولتكم وفق الأشياء التي تقال لي هنا، والتي سأؤمن بها فقط بقدر ما تشهد بها أنت بنفسك، أتوسل إليك أن تكتب لي ما نحن عليه، حتى أحتفظ بها كما تتطلبها خدمة الملك ربنا وربك. وإرادة الملك ربنا وإرادة جميع أعضاء مجلسه هو حماية شخصك ودولتك وحراستها بشكل صحيح كما يجب أن يكون اتجاه أمير مخلص مثلك وابن ملك كان هو كذلك مخلص.

الكابتن فيرجارا، الذي سيقدم لك هذه الرسالة، سيتحدث إليكم أكثر مني- سموك ستمنحه نفس الفضل لي. وفق الله وجودك ودولتك الملكية في خدمته».

<u>الملحق رقم</u> 03: الرسالة التي رد بها حاكم تنس مولاي عبد الله على طلب المساعدة الذي قدمه القائد الإسباني Diego de Vera والتي كتبها في مدينة تنس يوم الأحد 25 أوت 1516م/ 26 رجب 922هـ.

«مولاي الفاضل لقد اتصلنا برسالتكم، واطلعنا بفائق الارتياح لخبر مجيئكم قائدا على أسطول الحملة التي تهمنا وتهمكم، وأنتم تعرفون أن أبي عند وفاته أوصى بي إلى ملك إسبانيا رحمه الله [الملك الإسباني فرناندو مات في أوائل سنة 1516م/ 921-922هـ]. والآن إنني تحت حماية سيدي البرانس دوكارلوس [الوالي الإسباني على مدينة وهران إذ ذاك] يفعل بي ما يشاء، إنني دائما في خدمته وستكون أحسن وسيط بيننا، ولا أرجو من سيادتكم إلا المحافظة على مملكتي، ولا تعيروا اهتماما لحديث المجرفين... والذي احتفظ به منكم هي المنطقة الممتدة من الشلف إلى قبر الرومية، ولا تقفوا على ما ذهبت إليه سفن شرشال بالقوة... كتبت في تنس اليوم الأحد 25 أوت مولاي بو عبد الله، ملك تنس »

<u>المصدر</u>: عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر: نشأتها وتطورها قبل 1830، ط1، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص.166.
وهي مترجمة إلى اللغة الفرنسية في كتاب:
-A.BERBRUGGER, Le Pegnon d'Alger ou les origines du gouvernement Turc en Algérie, Alger, 1860, p.p.29-30.

<u>الملحق رقم</u> 04: رسالة مجهولة التاريخ والمصدر كتبت من مستغانم إلى الكاردينال كسيمنس Cardinal Ximenès توصيه بحاكم تنس بعد وفاة خاله الذي لجأ إليه.

«الحمد لله، إلى مدبر المملكة القشتيلية وكبيرها وخليفة سلطانها قرض نال (كردينال) بعد سلامنا عليكم، فالذي نعرفكم به هو أن ابن سلطان تنس هو ابنكم ومتعلق بكم، ومحسوب عليكم، وكذا ابن التومي صاحبكم في الجزائر انذبح عليكم وعلى خدمتكم، وغفلتم عليه وعلى ابن السلطان في (تنس) وعلى جميع من عاملكم، حاشاكم من هذا، فإن كنتم تعملون على همتكم اعزموا للجزيرة (الجزائر) قبل ماتجي عمارة التركي فيستولي على هذا البر الكل، ونحن عرفناك ولو يكون هذا الخبر عندكم، وايضا ابن سلطان تنس كان عنده خاله الشيخ المنتصر ينغر عليه (أي يدافع عنه) ويحميه واليوم مات، ما بقالوا أحد إلا الله وانتم إذا ما عزمتم

إليه ينفسد ويفسد الحال عليكم كثيرا في هذا البر، والقايد مرتين أدرغوط عارف بكل شيء، وهو يكون عرفك بكل مقصد وكتب لكم من مدينة مستغانيم. يصل إلى يد الفاضل الشهير قرض نال».

المصـــــدر: الرسالة الأصلية باللغة العربية منقولة من:

-L.C.FERAUD, Lettres arabes de l'époque de l'occupation Espagnole en Algérie, in: Revue Africaine ,N°:17, Paris, 1873, p.314.

أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)، دار البصائر، الجزائر، 2007، صص159-160.

الهوامش:

*- أبو عبد الله محمد الرابع الثابتي بن أبي عبد الله محمد الثالث المتوكل اشتهر بالثابتي نسبة إلى جده، حكم من 890هـ/1485م إلى 902هـ/1496م.----2- تأسست هذه المدينة سنة 262هـ/875م على يد جماعة من البحريين الأندلسيين.

3- تدلس أو دلس مدينة تقع بين مدينتي الجزائر وبجاية، سطع نجمها مع أول استقرار للأندلسيين فيها في العهد الحمادي بعدما أقطعها الأمير الحمادي الناصر بن علناس لحاكم مدينة ألمرية صمادح عقب استيلاء المرابطين على مدينته سنة 484هـ/1091م، وساهم الأندلسيون الذين استقروا فيها في نهضتها وازدهارها، ومع قدوم العثمانيين اتخذوها عاصمة لمقاطعتهم الشرقية بقيادة خير الدين، ثم أصبحت تابعة لدار السلطان بعد التقسيم الإداري الجديد للعثمانيين. لمزيد من التفاصيل انظر إسماعيل بن نعمان، مدينة دلس(تدلس) خلال العهد الإسلامي دراسة تاريخية وأثرية، دار الأمل، تيزي وزو، 2011.

4- هو أبو عبد الله محمد الخامس بن أبي عبد الله محمد الرابع الثابتي حكم من 902هـ/1496م إلى 909هـ/1503م.

5- قال حسن الوزان عنهما وعن أخوهما أبو عبد الله الثالث: «... لكن الملك محمدا جد الملك الحالي خلف ثلاثة أبناء أكبرهم عبد الله وثانيهم أبو زيان، وثالثهم يحيى، فآل الحكم إلى الأول بعد وفاة أبيه ...»، أنظر حسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص.35.

6- هو أبو حمو موسى الثالث بن أبي عبد الله محمد الرابع الثابتي حكم مرتين، الأولى من 909هـ/1503م إلى 923هـ/1517م. والثانية من 924هـ/1518م إلى 934هـ/1528م.

7- هذا الأمير استطاع الوصول إلى الحكم بدعم من الشعب وعروج في حملته الأولى على تلمسان سنة 923هـ/1517م فأخرجه من السجن وجلس على العرش إلى غاية 924هـ/1518م، ولم يدم بقاءه في الحكم طويلا بسبب موالاته للإسبان فعاد إليه عروج وقتله، وفي هذه الأثناء ظهر أبو حمو موسى الثالث من جديد بدعم من الإسبان الذين ساعدوه على قتل عروج واستعادة حكم الدولة الزيانية انطلاقا من سنة 924هـ/1518م إلى غاية سنة 934هـ/1528م. أنظر حسن الوزان، المصدر السابق،ج.02، ص.

9/عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم للنشر، الجزائر، 2002، ص77.----8- مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1934، صص30-31./التلمساني بن رقية، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، تحقيق سليم بابا عمر، في مجلة تاريخ وحضارة المغرب، كلية الآداب الجزائرية، العدد3، الجزائر، يوليو 1977، ص6.----9 - حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، صص35-36/كاربخال مارمول، إفريقيا، ترجمة: محمد حجي وآخرون، دار نشر المعرفة، الرباط، 1988-1989، ج2، ص353.

10- التلمساني بن رقية، المصدر السابق، ص6/أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968، صص108-109.----11- التلمساني بن رقية، المصدر السابق، ص6/مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين، صص30-31/أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، صص184-185.

12- حسن الوزان، المصدر السابق، ج.02، ص.36 .----13- كربخال مارمول، المصدر السابق، ج2 ص354.

14- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص109/مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين....، ص30، وعندما كتب مارمول عن مدينة تنس قال بأن الإمارة تابعة للدولة الزيانية في تلمسان، أنظر كربخال مارمول، المصدر السابق، ج2 ص353.

15- نفسه، ج2 ص354.----16- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص51/وختم حاكم الإمارة رسالته إلى القائد الإسباني دييقو دو بيرا(Diego De Vera) بعبارة «كتب في تنس اليوم الأحد 25 أوت مولاي بو عبد الله ملك تنس»، (الملحق رقم 03)

17- أطلقت هذه التسمية في رسالة مجهولة التاريخ والمصدر كتبت من مستغانم إلى الكاردينال كسيمنس، أنظر الملحق رقم 04.

18- من المرجح أن يكون هذا الحاكم هو المقصود من قول حسن الوزان «وترك المملكة بعد وفاته (يحيى الثابتي) إلى ابنه الشاب الذي طرده أيضا بربروس...» أنظر حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص36/وكما سبقت الإشارة إلى ذلك فإن مارمول يبين اسم هذا الحاكم والذي ورد كثيرا في النصوص التاريخية وهو أبو عبد الله، حيث قال: «...وبعد وفاته (يحيى الثابتي) خلفه في حكم المدينة ولده أبو عبد الله...»، أنظر:- كربخال مارمول، المصدر السابق، ج2، ص354.

19- سالم التومي هو شيخ قبيلة الثعالبة العربية، استولت هذه القبيلة على حكم مدينة الجزائر في فترة ضعف الدولة الزيانية وكانت لها سيطرة على مدينتي الجزائر وتدلس واتخذت من مدينة الجزائر عاصمة لها ومن اشهر رجالها العالم عبد الرحمن الثعالبي، عارض سالم التومي أعيان مدينة الجزائر في سعيهم لطلب مساعدة عروج وخير الدين لتحرير المدينة من الإسبان، ثم وافق مضطرا، وبعد قدوم عروج إلى مدينة الجزائر استمر في عمالته للإسبان وقاد محاولة للقضاء على عروج فانتبه له هذا الأخير قبل تنفيذ خطته وقتله سنة 922هـ/1516م. أنظر حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص56/عبد الحميد بن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1972، ص71. ----20- كربخال مارمول، المصدر السابق، ج2، ص353.----21- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص41.----22- يقع قريبا من مدينة تيبازة.

23- كربخال مارمول، المصدر السابق، ج2، ص353.----24 - عروج رئيس أو بابا عروج (874هـ/1470م-924هـ/1518م) هو الأخ الثاني في عائلة بربروس بعد إسحاق، عرف بلقب بربروس ربما بسبب لون لحيته أو لأن البحارة المعاونين له كان يدعونه بابا عروج احتراما له فحرفت الكلمة إلى بربروس، اشتهر بأسطوله الذي كان يجوب البحر الابيض المتوسط، أسس أول قاعدة له في جربة التونسية سنة918هـ/ 1512م ، حاول تحرير مدينة بجاية سنة920هـ/ 1514م، وفقد خلالها ذراعه اليسرى، ثم فتح مدينة جيجل، وبعدها الجزائر، ودلس وشرشال وتنس ومستغانم وغيرها، ودخل تلمسان سنة 924هـ/ 1518م التي استشهد فيها في نفس السنة. أنظر الملحق الذي أدرجه مترجم مذكرات خير الدين في سيد علي المرادي، مذكرات خير الدين بربروس، تحقيق: أوزتونا، ترجمة: محمد دراج، دار طليطلة، الجزائر، 2015، ص.ص.229-240.

25- خير الدين: اسمه خضر اشتهر بلقب بربروس (876هـ/1472م-950هـ/1543م)، اشتغل بداية بالتجارة ثم أنضم إلى أخيه عروج ورافقه في حملاته الحربية إلى غاية وفاته، فأصبح سلطانا للجزائر خلفا له وتمكن من بسط سلطانه على معظم مدن الجزائر من الشرق إلى الغرب وضمها إلى حكم الدولة العثمانية، تعرض للكثير من الثورات أهمها ثورة أحمد بن القاضي التي اضطرته إلى الانسحاب إلى مدينة جيجل سنة 930هـ/1524م، ثم عاد مجددا وبسط نفوذه على الجزائر بعد ثلاث سنوات وتمكن من القضاء على قلعة البينيون الإسبانية في سواحل مدينة الجزائر سنة 936هـ/1530م، وعينه السلطان العثماني سليمان القانوني قبطان داريا وبيلرباي على الجزائر سنة 940هـ/1534م. وتوفي سنة 953هـ/1546م. أنظر: - سيد علي المرادي، المصدر السابق، صص241-245.

26- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص146/دراج محمد، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس(1512-1543)، دار الأصالة، الجزائر، 2011، ص.188وما يليها.----27 – أنظر الترجمة الفرنسية لنص الرسالة في:

-A.BERBRUGGER, Le Pegnon d'Alger ou les origines du gouvernement Turc en Algérie, Alger, 1860, p.27.

28- تزعم المعارضة في مدينة الجزائر وضواحيها بعد مقتل والده سالم التومي على يد الأتراك.----29- كربخال مارمول، المصدر السابق ج2، صص311-312/التلمساني بن رقية، المصدر السابق، صص 4-6/سيد علي المرادي، المصدر السابق، صص85-86-87/أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، صص180-183.----30- سيد علي المرادي، المصدر السابق، ص88.----31- نفسه.

32- H.D.DE GRAMMONT, Histoire d'Alger sous la domination Turque (1515-1830), leroux, paris, 1887, p.p.24.

33 – سيد علي المرادي، المصدر السابق، ص.89/مجهول، كتاب غزوات عروج وخير الدين...، ص31/التلمساني بن رقية، المصدر السابق، صص6-7.----34- سيد علي المرادي، المصدر السابق، ص89.----35- مجهول، كتاب غزوات عروج وخير الدين...، ص31/التلمساني بن رقية، المصدر السابق، صص6-7.

36- H.D.DE GRAMMONT, Histoire d'Alger … , p.24.

37- سيد علي المرادي، المصدر السابق، ص89-90/مجهول، كتاب غزوات عروج وخير الدين...، ص31.----38- سيد علي المرادي، المصدر السابق، ص90.----39- التلمساني بن رقية، المصدر السابق، ص7/أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، صص185-186.----40- سيد علي المرادي، المصدر السابق، ص91/مجهول، كتاب غزوات عروج وخير الدين...، ص31.----41- مجهول، كتاب غزوات عروج وخير الدين...،

ص31/التلمساني بن رقية، المصدر السابق، ص07. ----42- سيد علي المرادي، المصدر السابق، ص91/مجهول، كتاب غزوات عروج وخير الدين...، ص32.----43- سيد علي المرادي، المصدر السابق، صص93-94.----44- كاربخال مارمول، المصدر السابق، ج2، ص354.----45- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص36.

46- كانت موالية لعبد الواد قبل تملكهم لتلمسان، ثم التحقت ببني مرين، وأصبحت تتقلب بينهما أو ينقسم أفرادها بينهما (بني عبد الواد وبني مرين)، وأعظم رؤسائها هما عريف بن يحي بن عثمان وابنه ونزمار، ونظرا لكثرة الفتن لم تستطيع تأسيس إمارة خاصة بها، إلى غاية هذه الفترة بعد خلو البلاد من الزيانيين فاستطاع شيوخها الوصول إلى مبتغاهم في تأسيس إمارة والدفاع عنها وبقيت إلى غاية وفاة حاكمها الأول والأخير حميد العبد. ولتفاصيل أكثر حول قبيلة سويد أنظر مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1963، ج.02، ص.ص.299-300-301.----47- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص52.

48- F.D.HAEDO, «Histoire des rois d'Alger», in: Revue Africaine, N°: 24, Paris, 1880, p.p.61- 62/De Tassy. LAUGIER, Histoire du Royaume d'Alger, Paris, 1992, p.33/PEYSSONNEL et DESFONTAINE, Voyages dans les régences de Tunis et d'Alger, Paris, 1838, T.I, p.p .392-393.

49- محمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تحقيق: محمد غالم ، الجزائر ، 2005، ج.01، ص.162..

50 - F.D.HAEDO, Op.cit, N°24, Année 1880, p.61----51- Ibid, p.62----52-DE TASSY.LAUGIER, Op.cit, p. 33.----53 - Ibid, p. 33.-----54– F.D.HAEDO, Op.cit, N°24, Année 1880, p.62.

55- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري (16-20م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ج. 2، ص210.

56- F.D.HAEDO, Op.cit, N°24, Année 1880, p.62/DE TASSY.LAUGIER, Op.cit, p. 33/PEYSSONNEL et DESFONTAINE, Op.cit , T.1, p.393.----57– F.D.HAEDO, Op.cit , N°24 , Année 1880 , p.62.----58 – DE TASSY.LAUGIER , Op.cit , p. 33/F.D.HAEDO, Op.cit, N°24, Année 1880, p.62.----59 - F.D.HAEDO, Op.cit , N°24 , Année 1880, p.62.

- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص.185. هنا المدني لا يفرق بين العملية الأولى التي قام بها خير الدين لفتح تنس وهذه العملية التي سيقوم بها عروج، وقد انفرد بروايته هذه عن بقية المصادر والمراجع الأخرى حيث قال: « فعروج وخير الدين عزما قبل كل شيء على إنقاذ مدينة تنس من هذا المتغلب الشقي، الذي ولغ في دماء المسلمين، والذي جرأ الإسبان على مدينة الجزائر ووعد جيشهم بالإعانة والتأييد، فسار إليها عروج برا، في شهر جوان 1517م،على رأس جيش مؤلف من ألف تركي وفرق من المجاهدين الأندلسيين، كما سار إليها خير الدين بحرا ». ويختلف عزيز سامح التر مع المدني في وصف تعداد الجيش حيث قال:<< تحرك على رأس قوة تتألف من خمسمائة جندي من الأتراك ومهاجري الأندلس >>، أنظر:- عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص.57.

60 - F.D.HAEDO, Op.cit , N°24 , Année 1880, p.62/DE TASSY.LAUGIER , Op.cit , p. 33

- كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541، ترجمة حمادنة جمال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص35.----61- عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص57/ H.D.DE GRAMMONT, Histoire d'Alger…, p.24

62- عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص57.

63 –F.D.HAEDO, Op.cit , N°24 , Année 1880,p.62. - DE TASSY.LAUGIER , Op.cit , p. 33.

ويحدد H.DE GRAMMONT و أحمد توفيق المدني الذي قد يكون نقل عنه مكان المعركة في واد الجر على خمس مراحل من البليدة، أنظر أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص185./H.D.DE GRAMMONT, Histoire d'Alger…, p.24

64- F.D.HAEDO, Op.cit , N°24 , Année 1880, p.63/DE TASSY.LAUGIER, Op.cit, p.33/H.D.DE GRAMMONT, Histoire d'Alger…, p.24/ ص.ص57-58. عزيز سامح التر، المرجع السابق،

65 -عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص.ص57-58. – DE TASSY.LAUGIER, Op.cit, p. 33.

- F.D.HAEDO, Op.cit , N°24 , Année 1880 ,p.63

66 –عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص.58. - F.D.HAEDO, Op.cit, N°24, Année 1880, p.p.37-69, p.63.

– PEYSSONNEL et DESFONTAINE, Op.cit, T.01, p.393. - DE TASSY.LAUGIER, Op.cit, p. 33.

67 - F.D.HAEDO, Op.cit , N°24, Année 1880, , p.63. - H.D.DE GRAMMONT, «Quel est le lieu de la mort d'AROUDJ BARBEROUSSE ? », in Revue Africaine , N°: 22, Paris, 1878, p.391

68– F.D.HAEDO, Op.cit, N°24, Année 1880, p.63/H.D.DE GRAMMONT, «Quel est le…., p.391.

69- عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص.ص57-58. – F.D.HAEDO, Op.cit, N°24, Année 1880, p.63.

–DE TASSY.LAUGIER, Op.cit, Paris, 1992 , p. 33.

70 –عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص.58.

71-F.D.HAEDO, Op.cit, N°24, Année 1880, p.64/DE TASSY.LAUGIER, Op.cit, Paris, 1992, p.34.

72 –عبد الحميد بن أشنهو، المرجع السابق، ص.109.

قلعة بني راشد تقع في، نواحي معسكر، وبني راشد يقال لهم أهل الراشدية ويسمون اليوم بغريس.

- احمد بن محمد بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق: المهدي البوعبدلي، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، د.ت، ص.26.

73- F.D.HAEDO, Op.cit ,N°24, Année 1880, p. p.64 et 66/DE TASSY.LAUGIER, Op.cit, Paris, 1992, p.34

74– F.D.HAEDO, Op.cit, .N°24, Année 1880, p. p.64 et 65----75 - Ibid, p. 66.

76-عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص.71. - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق ، ص.ص.190-191-192-193.

-H.D.DE GRAMMONT, Histoire d'Alger…, p.30.

ويمكن التأكد من هذه المعلومات من خلال ما ورد في نص الرسالة الإسبانية المكتوبة في وهران والمؤرخة يوم 27 فيفري 1518م، حيث قال صاحبها أنتونيو ريجو Antonio Rigo: «رسالتي هذه أغلقتها يوم 01 مارس، وفي نفس اليوم وردت معلومات مرفوقة برسائل أرسلها يهود...، هذه الرسائل توضح بأن الكثير من السكان تمكنوا من السيطرة على تلمسان وطرد الأتراك منها وقتلوا منهم ثمانية أفراد، واستطاعوا أخذ مواقعهم في المدينة باسم أبو حمو... نفس اليهود كتبوا بأن كل الأتراك الموجودين في الجزائر وفي مملكة تنس قتلوا كلهم، ومدينة الجزائر نفسها أصبحت في حالة عصيان»، بتصرف عن

- Elie de la PRIMAUDAIE, «Documents inédits sur l'histoire de l'Occupation espagnole en Afrique (1506-1574)», in Revue Africaine, N°: 19, Paris, 1875, p.153.

77 –عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص.71. –H.D.DE GRAMMONT, Histoire d'Alger…, p.30

78- F.D.HAEDO, Op.cit, N°24, Année 1880, p.118.----79- F.D.HAEDO, Op.cit, N°24, Année 1880, p.118.

80 - عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص.71.----81- نفسه، ص78.----82- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص211/عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص80.----83- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، صص212-213/عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص80-81. .

–H.D.DE GRAMMONT, Histoire d'Alger…, p.32-33

84 –كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص47. -H.D.DE GRAMMONT, Histoire d'Alger…, p.33

-E.MERCIER, Histoire de l'Afrique septentrionale, T.III (1515-1830), paris,1891, P.27.

85 –كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص48.----86 –عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص85/ H.D.DE GRAMMONT, Histoire d'Alger…, p.34

87 –محمد حاج صادق، مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989، ص.32.

88- كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص48.----89 - هو أبو عبد الله محمد الرابع حكم من 930هـ/1524م إلى 949هـ/1542م، أنظر محمد الميلي، المرجع السابق، ج2، ص366.----90- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، صص258- 261/محمد الميلي، المرجع السابق، ج2، ص366.----91- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، صص258-261.

- Elie de la PRIMAUDAIE, Op.cit , N°: 19, Année 1875, p.p. 266-267.

والصيغة النهائية للمعاهدة جاءت مخالفة لما كان يصبو إليه الحاكم الزياني، أنظر نصها في أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، صص 259-261.----92- عند عبد الرحمن الجيلالي: أواسط شعبان 952هـ/أكتوبر 1545م. تاريخ الجزائر العام، ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص48.

93 - F.D.HAEDO, Op.cit , N° 24 , Année 1880, p. 261.

94- هنا المترجم دي قرامون ينبه في هامش الصفحة 361 إلى ضرورة كتابة هذه السنة 1547م عوضا السنة التي ذكرها هايدو وهي سنة 1548م، وهذا انطلاقا مما هو مذكور عند مارمول. - F.D.HAEDO, Op.cit , N° 24 , Année 1880, p. 261.

- لكنه في كتابه تاريخ الجزائر في العهد العثماني يذكر تاريخ 1546م، أنظر:

- H.D.DE GRAMMONT, Histoire d'Alger … p.74.

وهو التاريخ الأصح باعتبار أن وفاة خير الدين كانت سنة 953هـ/1546م.

95- F.D.HAEDO, Op.cit , N° 24 , Année 1880, pp.261-262-263----96 - H.D.DE GRAMMONT, Histoire d'Alger…, p.p.77-78

97 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص178/محمد حاج صادق، المرجع السابق، ص.32.

98 -هذا التساؤل كان مطروحا في المصادر والمراجع التي أشارت إلى هذه الحوادث، أنظر :- محمد حاج صادق، المرجع السابق، ص.32.

- F.D.HAEDO, Op.cit, N° 24 , Année 1880 , p.p. 261-269-270.

99 -أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص.178/محمد حاج صادق ، المرجع السابق، ص.32.----100 -محمد حاج صادق، المرجع السابق، ص.32.----101 - جمع محلة أي الحملة العسكرية، حتى أن هذه القبيلة أصبحت تسمى لدى بعض المؤرخين بأولاد محال نسبة لهذه الثورة، أنظر: - هـ-ف.مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة أبو العيد دودو، ج1، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1976، ص.218.

102 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج.02، ص.209.

103- V.BERARD, Indicateur général de l'Algérie, 1ere édition, Bastide, Alger, 1848, p.285.

104 - هذا العدد ورد ضمن تقرير إسباني خاص بتوزيع الأتراك في مدينة الجزائر والمدن الأخرى وكان توزيعهم كما يلي: مدينة الجزائر1800، تنس 25، برشك 10، شرشال 30، المدية 150، مليانة 100، تادلس 60، بنورة 20، جيجل 20، القل 20، قسنطينة 300 ، أنظر:

- Elie de la PRIMAUDAIE, Op.cit, N°: 19, Année 1875, p.p. 266-267.

ويقول بن شنب بأن تنس كان بها 25 تركيا مع الحاكم في سنة 1533 م، أنظر: -H. BENCHENEB, «TANAS», in Encyclopédie de l'islam, nouvelle édition, leinden Brill, 2002, T. X (T.U), p.194

105- ناصر الدين سعيدوني، الأندلسيون (الموريسكيون) بمقاطعة الجزائر "دار السلطان" أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر، حوليات جامعة الجزائر، العدد 7، الجزائر، 1993، ص108/أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، تحقيق المدني أحمد توفيق، الجزائر، 1980، ص48 .

- LAUGIER DE TASSY, Op.cit, p.p. 83 et.95-96-97.

106- الزهار أحمد الشريف، المصدر السابق، ص8 .

107- VALENSI, Voyage dans les états barbaresques de Maroc, Alger, Tunis et Tripoly, Paris, 1795,p.95.

108- ناصر الدين سعيدوني، شبكة المواصلات بالجزائر أثناء العهد العثماني، ورقات جزائرية: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص455.----109- اسكوت، مذكرات الكلونيل اسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841، ترجمة وتعليق العربي إسماعيل، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص113 (الهامش).----110- نفسه، صص113- 118 (الهامش).